

تاريخ الاستلام: 2022/09/13 تاريخ القبول: 2023/04/26 تاريخ النشر: 2023/06/18

لمياء بوعقدية *

جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة (الجزائر)

Email : Bouakkadia21011983@gmail.com

الملخص:

تتصل التجربة بالشعر بأشكاله المتعددة القصصية منها والدرامية، ويغدو دخول السرد في الشعر ميزة هامة أخرجت القصيدة العربية من دائرة الأنا في غنائيتها المفرطة نحو بناء عالم شعري تغوص عبره الذات الشاعرة في الواقع باعتباره مسرحا للحدث تنظر إليه برؤية موضوعية.

نجد عبر ديوان "باقة ورد" للشاعرة (نورة بركان) قصيدة السيرة الذاتية التي من خلالها تتجه نحو الأفق مؤثرة لرؤيا الشاعرة في الابتعاد عن الموضوعات المعروفة، فتبدو القصيدة مزجا بين الحكاية والزمن مشبعة حتى النخاع بين القص والسيرة مؤسسة لفعل الكتابة الشعرية المعاصرة. فإلى أي مدى وفقت الشاعرة في رصد متغيرات الكتابة الشعرية الجزائرية المعاصرة؟ وما هي جل تظاهرات التشكيل السير ذاتي والشعري عبر ديوانها "باقة ورد"؟

الكلمات المفتاحية: الشع، السيرة الذاتية، التمازج، التداخل الجنسي

Abstract:

The experience is related to poetry in its various forms, both narrative and dramatic, and the entry of narration into poetry becomes an important feature that removed the Arabic poem from the circle of the ego in its excessive lyricism towards building a poetic world through which the poetic self plunges into reality as a scene of the event looking at it with an objective vision.

Through the book "Bouquet of Roses" by the poet (Noura Berkan), we find a biographical poem that moves towards the horizon, furnished with the poet's vision of moving away from known topics. To what extent has the poet succeeded in monitoring the variables of contemporary Algerian poetic writing? What are the main manifestations of autobiographical and poetic composition through her book "Bouquet of Roses"?

Keywords: Poetry, biography, intermingling, sexual intercourse

المقدمة :

برزت معالم القص في الشعر العربي المعاصر من خلال آليات مختلفة أبرزها الشخصية التي أضحت ورقية تلوح عبر عالم الخيال الأسطوري أو التاريخي أو التراثي أو الأدبي عبر بناء يستدعي الوحدة العضوية التي لا تكتمل فيها ملامح الشخصية إلا مجتمعة أو من خلال الزمان الذي برز عبر عديد المصطلحات زمن الكتابة وهو الزمن الخارجي وزمن القراءة وهو الزمن الداخلي عبر آليات الاستباق والاسترجاع والأهم بهذا هو الابتعاد عن البناء الشعري الذي يستدعي الزمن الكرونولوجي المتسلسل إضافة إلى المكان الذي غدا أسطوريا وبحثا في المجهول بعيدا عن التحديد الجغرافي المحدود والمعروف. نحاول عبر هذه الدراسة استنطاق القصيدة الجزائرية المعاصرة التي تأبى إلا أن تكون مسائرة للواقع الشعري العربي المعاصر. فإلى أي مدى استطاع الشاعر الجزائري مواكبة الكتابة الشعرية الجديدة؟ وكيف اتضحت معالم الشعرية في ديوان الشاعرة "نورة بركان" التي غاصت عبر امتزاج جنسي الشعر والسيرة الذاتية؟. ونتخذ آليات البنيوية التكوينية منهجا نستدل به في قراءة النص الشعري الجزائري الجديد.

موضوع البحث :

حظيت القصيدة العربية المعاصرة بعد الدعوة التجديدية التي رافقت تحولاتها على مستوى البنية الفنية والشكلية مرونة التعبير عبر آليات السرد بأشكاله المتعددة (قصص/مسرح/دراما) (الصكر، 1999) وعبر خاصية التدفق التي نادى بها الباحثة (نازك الملائكة) في هيكلتها للقصيدة المعاصرة -بخاصة- لتقدم (الهيكل المسطح وهو قصائد تدور حول موضوعات ساكنة مجردة من الزمن وإنما ينظر إليها الشاعر في لحظة معينة ويصف مظهرها الخارجي في تلك اللحظة وما يتركه من أثر في نفسه والهيكل الهرمي وهو نقطة الارتكاز في القصائد الهرمية لابد أن تتضمن فعلا أو حادث لا مجرد شيء جامد يحتل حيزا من المكان والحسب إضافة إلى الهيكل الذهني الذي يقدم عنصر الحركة على أسلوب فكري) (الملائكة، 1962) إذ غدت لحمة واحدة متماسكة البناء مترابطة الأجزاء، وتكون دعوة التجديد في الشعر "عونا على انجاز البرنامج السردى للنص وعلى

انفتاح القصيدة لغويا وإيقاعيا وصوريا وتركيبيا على طاقات القص وإمكاناته" (الصكر، 1999، ص 37).

يرى الباحث (مُحمّد صابر عبيد) أنّ استدعاء النصوص الشعرية المعاصرة لتقنيات القص وفّر لها المرونة في تقمص الأدوار لـ "تنهض متاهة الحكيم على فكرة اللعب والتخفي والمواربة والمطاردة وابتكار الحيل التي من شأنها أن تعقّ روح المتعة في البحث والمتابعة وحلّ العقد ووهم الوصول، وهو ما ينتج مساحات التشكّل السردية مزيدا من التّنوع والتّعدد في المظهر على النحو الذي يضاعف من الإشكالية الجمالية للنصوص ويزيد من توترها الدلالي والأسلوبي ويّلعن شعريتها" (عبيد، 2010)؛ فتغدو آليات القص عبر تقنيات التناص المتعددة قابضة تحت سلطة القراءة المعاصرة والوضع الثقافي الراهن، ف"المفهوم الحديث ينبثق عن جوهر الشعر المنجز، وما يَكُن فيه من قيم شعرية إنسانية تحيل مظاهر التغيير في حدود الشكل والبنية الداخلية العميقة إلى نوع من الإبداع الشامل" (الجليل، 2007).

تعدّ القصيدة التي تستوعب تقنيات القص -الآن- فرعا أدبيا متميزا، يوازي فيها الشاعر بين قدرته الشعرية والمقدرة القصصية لـ "تستفيد القصة من الشعر التعبير الموحى المؤثر ويستفيد الشعر من القصة التفاصيل المثيرة الحية، فهي بنية متفاعلة يستفيد كل شق فيها من الآخر وينعكس عليه في الوقت نفسه" (الجليل، 2007، ص 301)، فتتمازج الثنائيتين (الشعر/القصة) وتتشابك الآليات البنائية عبر عالم الكتابة الشعرية المؤسسة لقصيدة لا تعلو إلا على التوضع في خانة واحدة .

يحاول الشاعر الجزائري المعاصر استدعاء الطابع القصصي في القصيدة، وتكون قصيدة الشاعرة نورة بركان بغية كشف خفاياها وسرّ بنائها وامتزاجها، وفي ظل تماسك أجزاء القصة عبر مقوماتها الأساسية التي ظلت حاملة لواءها التعريفي ومفاهيمها المحددة استحضرن أحد تقنيات السرد القصصي عبر البناء الشعري الذي يستوعبها، لتكون (الشخصيات والزمان والمكان) بؤرة

التحليل والتنقيب لاستقراء البنية الشعرية، ولذلك نتكئ على مفاهيم وتعريفات لهذه المكونات (الشخصية/ الزمان/ المكان) بغية تحديد الرؤية ومنهجية العمل البحثي والتحليلي.

2. العنوان الرئيسي الأول: تجليات الشخصية في الشعر الجزائري المعاصر.

إن الانطلاق من مفهوم محدد للشخصية ضمن الأعمال الأدبية المعاصرة باعتبارها "مقولة" سيكولوجية تحيل على كائن حي يمكن التأكد من وجوده في الواقع... فإن وظيفتها وظيفة اختلافية إنها علامة فارغة أي بياض دلالي لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد، إنها كائنات من ورق على حدّ تعبير بارث " (هامون، 1990)؛ فإشكالية الشخصية في الأعمال الأدبية إشكالية لغوية تتحدد سماتها وطبائعها السلوكية والإدراكية نتيجة تفاعلها فيما بينها، لتؤثر وتتأثر بما حولها وهذا ما يجعل منها كائنات تتجلى على ورق/كتابة، فتتعبأ بالتأويلات القرائية المختلفة التي تجعل منها -الشخصية- غير قابلة للتحديد القار والنهائي.

يحدد (فيليب هامون) ثلاث أنواع من الشخصية؛ الشخصية المرجعية والإشارية والاستذكارية يحيل النوع الأول على عالم سبقت المعرفة به معطى من خلال الثقافة أو التاريخ (الشخصي أو الجماعي) يقوم القارئ بالتعرف على هذا التاريخ والتعرف على هذه الشخصيات، ويمكن دورها في إرساء النقطة المرجعية المحيلة على النص الثقافي/الأيديولوجي (الشفوي أو المكتوب)، أما النوع الثاني (الإشارية)؛ يقصد بها تلك المناطق في النص التي تحيلنا على ذات المؤلف نفسه، ويحيل النوع الثالث (الاستذكارية) على تلك العلاقات التي تربط العمل السردى والشخصيات أي علاقة الشخصيات بما حولها من حدث وزمان ومكان وغيرها؛ فيتوجب الإلمام بالشخصية معرفة السياقات الداخلية والخارجية للنص (هامون، 1990، ص 8-9)؛ فإذا كان النوع الأول قادر على صوغ الفكر الأيديولوجي التي تحيلنا إليه الشخصية في النص والتي تحدد فكر المؤلف ورؤاه في آن، فإن النوع الثاني يحدد الرؤية السردية وطبيعة علاقة السارد بشخصه، بينما يحيلنا النوع الأخير عن مجموع العلاقات التي تؤسس لبناء الوظائف والتي تجمع بين الشخصيات الرئيسية منها والثانوية.

يشير الباحث (عبد المالك مرتاض) —على خلاف ما سبق— أن هناك نوعين من الشخصية "الشخصية المدورة المستوحاة من التراث العربي إذ كان الجاحظ كتب رسالة عجيبة وصف فيها شخصية نصفها حقيقي ونصفها الآخر خيالي وهي رسالة التزييع والتدوير ... هي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال ... إنها الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة، أما الشخصية المسطحة فهي تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامه..". (مرتاض، 2005) ؛ فتحديد الشخصية قائم على تحديد بعدها الفكري، فكلما كانت مراوغة تستعص على القارئ فهمها بسهولة كلما كانت شخصية مدورة؛ أما إذا كانت محددة المعالم والصفات يستطيع القارئ فهم ما يدور بداخلها بسهولة كانت سطحية.

نتتبع حضور (الشخصية) في الشعر الجزائري المعاصر الذي يستدعي تقنيات القص، عند (نورة بركان) عبر ديوانها باقة ورد نحاول من خلاله الوقوف على أبرز السمات التي وسمت القصيدة الجزائرية المعاصرة ذات النزوع القصصي.

العنوان الفرعي الأول: تجلي صورة الأم في (ديوان باقة ورد)

نتتبع مسار الشخصية وحركتها عند الشاعرة (نورة بركان) لـ "تكتب نورة عن أوجاع امرأة، لكن أوجاعها الخاصة التي ليست أكثر من تعبير عن علاقتها بالعالم الشرس الذي تعيش فيه، ثمّة معركة خفية تخوضها الإنسانية في هذه الحياة، لتعبر عنها الشاعرة فيما بعد، معركة ضد ثقافة الوجود" (لونيس، 2012).

يحمل الديوان عنوان (باقة ورد) مؤسساً لفكرة مرسل ومرسل إليه وعلى الأغلب رجل وامرأة ويكون الورد هدية تعبر عن عاطفة ما —مثلاً— فإذا كانت لفظة (باقة) مبتدأ نكرة مجهولة معرفة بالإضافة فإن لفظة (ورد) مضافاً إليه، فينبني العنوان منذ البدء عن سر هذا الورد ومن مرسله أو حامله، ويفتح بذلك باب الخبر عبر دفتيه تاركاً المجال فسيحاً نحو البحث عن الخبر أو بالأحرى عن مرسل هذه الباقة، فينفتح على السرد والإخبار.

يبدو أن الشاعرة أرادت أن تتمذج شخصيتها فلم تحملها سمات خاصة فتجوب بها عالم المعرفة الواسع بكل ما تحمله لفظة (الأم) من دلالة مركزة على سماتها النفسية تقول:-

أمي....أمي
يا اسما أجوفا ظل يعينني
ليتني طرده من بيت اللغة تمكنت
فأريح زمرة الإخاء
وادفع الرعب أينما تجليت
رحمة من الوهاب القادر أزف إليك أمي
في فسيح سكنك ربي
أماه.... ودعتك وسهت الموت تلقيت
تراب به قد غطوك والأمر تقبلت
يا أندر خلق الرحمان العالي
جليلة أنت حبيبتي
وأروع قصة على المسامع رددت
أمي جنة الخلد أن تحويك أملت
وروضة الحب في قلبي لك رسمت (بركان، 2011)

تعددت أنواع الموت؛ فهناك الموت الطبيعي الذي يخص القدرة الإلهية المسلطة على بني البشر أما الثاني؛ فيبرز من خلاله الموت المجاني وهو أبشع أنواع الموت لأنه استسلام لصاحبه وهو يقتل الإرادة والرغبة في البحث والتمحيص أما الثالث منه فهو الموت الحضاري نتيجة لتسلط الحكام وبروز عالم متقدم وآخر متخلف، أما الموت الخير فهو موت الفداء أو التضحية وهو أسمى أنواع الموت؛ فتناجي الشاعرة/القاصة عبر هذا الموضوع الوجودي الذي ألهم العديد وشغل المفكرين والفلاسفة منذ القدم أمها/الوطن والملاذ الآمن من كل ابتلاء، التي تركتها وحيدة تصارع الواقع وجبروته، وتغدو الشخصية المحورية في القصيدة/الأم/الوطن بلا ملامح فيزيولوجية مجسدة عن طريق

اللفظ (أمي) بما ينبع من دلالة الحنان والعطف والرحمة، وتتمنى لها المغفرة والرحمة من المولى - عز وجل -، وتبدو القصيدة بأسطرها مليئة بالحزن والأسى والتوجع حاملة لدلالة الفقد والحرمان، فتعيش الشاعرة/القاصة على ذكرى مليئة بالعطف والحنان، ويؤسس المشهد الشعري بشخصه المفتقدة/الأم/ الوطن على قساوة العيش فيه البلاد/الجزائر التي باتت تصارع الزمن لأجل البقاء، تقول في هذا المقطع:-

تهيجني.....

فأمد وأجزر في عالمي

في صمت رهيب تقتلني

ابتسامتك الورقية تفيض بحار عواطفي

فتضطرب أمواج وجودي

صورتك أمي...

صورتك تمزق أشلائي

وترمي بي بعيدا

هناك في ركن الوحدة

في ركن الألم

في ركن اليأس... والغربة. (بركان، 2011، ص 50)

يحتل الموت الطبيعي مساحة شاسعة لذا الشاعرة (نورة بركان)، ويكون موت الأم/الوطن في ديوانها (باقة ورد) مركزا مهما باعتبارها منبع الحنان وسرّ الثقة، تروي من خلالها الشاعرة مأساتها وفاجعتها بفقدان أمها/وطنها التي معها فقدت كل شيء جميل وعبر سبعة قصائد من ديوانها (باقة ورد) تتوسل عبر تقنية القص السير ذاتي الذي يرى فيه الباحث (سعيد جبار) في تمييزه بين ثلاث عائلات كبرى لمحكي الحياة وهي (تدوين الشهادة الشفوية/البيوغرافيا (السيرة) بضمير الغائب/ والأوطوبيوغرافية (السيرة الذاتية))؛ فتأتي الأوطوبيوغرافية بأنها "محكي استعادي يستند فيه شخص

واقعي على وجوده، بالتركيز على حياته الفردية أو تاريخه الشخصي خاصة" (جبار، 2004)؛ فتأتي "الأنا" وهي تتأمل الذات لتشرع في الشرح والتفسير، وتبوح الشاعرة/القاصة -وفي كل قصيدة- بشجونها تجاه الواقع المرير الذي سلب منها أمها/وطنها، فتمثل الشخصية المحورية في القصيدة/الأم/الوطن ورقية وما دلالة التغييب للشخصية المحورية إلا دلالة للفقد والحرمان واليأس والقنوط بعدما سلبت أعز ما يملكه الإنسان/ الأم/ الوطن، فتعيش الشاعرة/القاصة منكسرة منهزمة تجابه الواقع الشرس بمفردها. لنقرأ هذا المجتزأ:

في جبروت الغبن أصبحت تحيا حياتي
وفي كنف الوحدة يعزف موسيقاه الجوق
لا طرب.... لا رقص...
كل سبيل الآن مسدودا
حياتي أصبحت بلا ألوان أُمي
أهيم فيها ويهيم في العرق
كيتيم عليل... شهيقه وزفيره معدود (بركان، 2011، ص 52)

تتشح الحياة بوشاح أسود يعبر عن المرارة بعد فقدان الأم، وتكشر الحياة عن أنيابها وتصبح الشاعرة/القاصة ضحية والحياة جلادا، وتتأسس صورة الأم عبر قصائدها (صورتها/صورتها في الذاكرة/تهيجني/غدر الموت/جنة تحت أقدام أُمي/حجر الأم/ أُمي) صورة ورقية تغيب معها ملامح الشخصية الخارجية منها والداخلية، فتبرز آلام فقدان عبر ذات الشاعرة/القاصة التي أصبحت ذكرى أمها الميتة تفيض بحار عواطفها وتحكي قصتها المؤلمة التي أفقدتها طعم الحياة والعيش الهنيء وتعيش في كنف الغدر والغربة وتختار الوحدة والانعزال متشعبة من مرارة الحياة بعد فقد أمها/وطنها الآمن.

ترسم الشخصية ضمن قصائدها طيفا يراودها عند الحاجة والضعف ومجابهة الواقع وتتفرد الشاعرة/القاصة ضمن ديوانها (باقة ورد) بصورة الشخصية في القصيدة التي تأتي أن تتحيز لصنف كتابي فلا تتخذ منها شخصية واقعية يحس القارئ بها مؤنسنة من لحم ودم ولا كونها ورقية تركز

على خواصها الفكرية -مثلا- فتبدو القصائد وهمية تسبح في الخيال والأم/الوطن طيفا يصعب إمساكه فتتوازى الصورة الشعرية عن طريق صورة الأم المفقودة بصورة الحياة في الجزائر المعاصرة التي انهكت قوى الفكر والتغيير. تقول مناجية أحلام التغيير:

سطا لهم على الأيام
فأصبحت أهاب ظلي
ورؤية نفسي في الأحلام
غزت موجة البرد قلبي
فلم يعد الدم فيه يسري

آه ... يا جناح الحنان أغيثوني (بركان، 2011، ص 129)

تسعى كل قصيدة لبناء الواقع المرير التي ترزخ تحته الشاعرة/القاصة، فكل سطر شعري من قصائدها بحاجة إلى الآخر يبحث عن يقاسمها همومها وأوجاعها، فتبدو لها الحياة مسرحية كبرى تسخر منها، وتغيب الشخصية المحورية/الأم في هذه القصيدة ويبقى أثر فقدانها جرح نازف وقلب بارد، وتصبح الحياة جافة لا معنى لها، سوداء قائمة يسطو عليها الهم والألم، وتغدو الكتابة حاملة لمشهد حزين مؤسس لحالة اليأس والعذاب، فتسير الشاعرة/القاصة على مقولة للتوحيدي -الألم ميدان القلم- لتسرد حالها تقول:

استحالت إلى تراب إلى الدنيا لا يرد
في مزارها بأفعالها سعدت
وفي جسدي اشتعل الحريق
أماه يرمى بك بلغة أنيسي
واسترق منها أثوابا تجعلني انفراد
في قصيدة ألهمت الروح
وفي حلقي انعدم الريق

منك شعلة الأمل تحيي وتنعشي

قريبة منك أنت أُمي وبعيدة

بك الحياة وبدونك العدم المستبد (بركان، 2011، ص 54)

تحمل قصائد ديوانها (باقة ورد) معاني الموت والفقدان؛ فالموت في أقصى معانيه تعبير عن غربة الإنسان عن نفسه، عن حالة انفصام بين الجسد والروح، الذات والآخر وهي الدلالة التي تهيمن على أشعارها، ف"للغياب أهمية لا تقل أحيانا عن أهمية الحضور" (الدين، 2012)؛ فثمة خيط رفيع تتمسك به الشاعرة/ الساردة في الحياة عبر قصائدها المؤسسة داخل تجربة تمدها بالموضوع (فقدان الأم/الوطن) لكن بإيقاع مأساوي، فتصبح الأم/الشخصية المحورية في القصائد المحرك الحيوي لقصائدها وتغيب ملامحها الفيزيولوجية والتركيبية، وتكون الصورة الورقية ذاكرتها وما التغييب الفعلي لها إلا مقابل للموت الذي هو في أبشع صوره فقدان وألم ونهاية للحياة والوجود، تناجي أمها/وطنها المفقود في هذا المقطع تقول:

يا أحلى غنوة غنتها الحياة

أُمي

يا نسيم الحب

يا عطرا الورد الباسم

كم غطيتني بجفئك الناعم

أُمي....

يا حبل الحنان لا ينقطع

يا شمس الأفق حين يسطع

حواني صدرك أُمي

ولا زال يتسع

لم ابحت عن مرسى آخر للسلام

قلبي بك لم يعزم غير الصيام

أمي.... (بركان، 2011، ص 100)

احتلت صورة الأم/الوطن لذا الشاعرة منبعاً للإلهام بصورتها المشتبهة، لتكون أنبل موضوع شعري على مدى الذاكرة والتاريخ الإنساني لأنها وببساطة مصدر خفي لعدد المعاني هي الوجود والحياة والثقة والأمان والحنان لحظة العدم، فتصبح الأم موازية للحياة والوطن بل مناقضة للعدم والموت، تحاول الشاعرة/القاصة من خلالها التعبير عن حالها المنكسرة وسط هذا الزخم الهائل من الإحساس بالوحدة جراء قساوة المحيط/الواقع المعيش؛ فالحزن لدى الشاعرة/القاصة يزداد اشتعالاً والجرح يزداد عمقاً كلما غاصت في الواقع أكثر، وتصبح الأم/الوطن كإلزامية شعرية تنفس عنده الذات الشاعرة/القاصة رغبة في الوصول بل تعبر من خلالها عن لهيب يحرقها، وتبدو اللازمة ملاذاً للتخفيف عن الوضع الأليم والمفجع. لتكمل بوحها عن المفقود تقول:

أحتضن طيفاً خالداً لأمي

أمي التي طواها القدر

ورمى بها في سلة الغابرين

فغادرت البسمة وجهي

واستقرَّ العذاب في مرفأَي. (بركان، 2011، ص 47)

تجمع الأم في شعر الشاعرة (نورة بركان) بين عديد المتناقضات بين الحقيقة والوهم بين الحضور والغياب الفرح والتعاسة...؛ فيغدو وجودها ورقياً تحتضن من خلاله العدم، وتتماهي الذات الشاعرة/القاصة بطيف أمها/وطنها المفقود، محاولة التأسيس لعالم يسوده الدفء والرحمة مقابل معاناتها ومجابهتها للواقع الشرس والمتآكل والدموي ويبدو المقطع الشعري ملماً لحالة الاستسلام والرضوخ لمشية الله عز وجل - بعدما مسها القنوط واليأس من رحمة الواقع مستسلمة ومؤمنة بالموت ومآله. وتسقط حالها والغياب ساردة إياه في هذا المقطع:

أمام الصورة... أمام الذكرى

يستبد بي الورق

أجول فيها تجوال معوز

نُشْتِه الأيام والليالي

يحكي للقدر حدثان الدهر...

في كل لحظة هو مهدد. (بركان، 2011، ص 53)

وتقول أيضا:

وتفننت في حكيها

بألوانه ... ببهائها

أذابت سر شبابي

ابتسامتها لا تزال طرية ندية

تنسج على ورق الآلام مسرحية

الموت بطلها

حبات دموعي جمهورها

وأنا الممثل

وحدي ارفع الستائر وأسدها

أمي (بركان، 2011، ص 49)

لمست الشاعرة/القاصة (نورة بركان) من خلال موضوع الموت/الأم/الوطن منطقة الإدراك والإحساس وتيقنت أن الموت ضروري ولا شيء يتغلب عليه إلا الإبداع/الكتابة، وأصبحت معادلة الكتابة والإبداع مرافقة لموضوع الموت بأنواعه وأشكاله، وتصبح الشاعرة/القاصة قادرة على مواجهة نفسها أولا وإقناعها بالأمر ثانيا، ثم مواجهة العالم بما يحتويه من سخرية وتهكم ثالثا، ففقدان الأم/الوطن يحسها بالشلل بعدما وجدت أمامها مشكل الوجود الإنساني الذي سبب لها صدمة كبيرة، فتستطيع التغلب على أشياء كثيرة فكريا، وأصبحت بذلك قادرة على التعبير بصيغة الذات المتألمة الوحيدة التي ترنو إلى الأمان والسلام.

3- العنوان الرئيسي الثاني: تجليات البنية الزمنية في الشعر القصصي الجزائري المعاصر.

تتعدد الاتجاهات والرؤى اللسانية الحداثيّة عند الباحثين في مفهومهم للزمن انطلاقاً من رفض الثلاثيّة الفيزيائيّة القديمة فإذا كان (جون لاينس) يحدد الزمن في "ربط الحدث في الجملة بلحظة التلفظ (الآن)" (يقطين، 1997)، فإن (إيميل بنفنست) يطرح القضية انطلاقاً من وجوب التفريق بين الزمن الفيزيائي للعالم/الذاتي الذي هو زمن خطي ولا متناه والزمن الحداثي/الموضوعي المقابل للزمن اللساني المبني على التقابلات اللغوية ليرتبط بالضرورة بالتجربة الإنسانية (يقطين، 1997، ص 64) إن لحظة التلفظ عند (بنفنست) تنطلق أساساً في التمييز بين زمن الحكي أي زمن الحدث خارج شخص الراوي (المتكلم) المخصص للغة المكتوبة وزمن الخطاب الذي يقتضي باثاً ومتقبلاً، ليتضح ضمن المكتوب والشفوي، ويمكن للحكي أن يبرز في الخطاب (يقطين، 1997، ص ص 65-66)، وتحديدًا في الخطاب غير المباشر.

تحدد إشكالية الخلط بين زمن الحكاية وزمن الخطاب انطلاقاً من تباينهما في النص "فزمن الخطاب -من بعض جوانبه- زمن خطي (lineaire) بينما زمن الخبر متعدد الأبعاد (pluridimensionnel) في الخبر يمكن لأحداث عديدة أن تقع في الوقت نفسه إلا أنه يتحتم على الخطاب أن يرتبها الواحدة بعد الأخرى" (يقطين، 1997، ص ص 109-110)، لأن المبدع وإن كان يترصد الواقع فإنه لن يستطيع ترتيب الأحداث الواقعية كما هي موجودة فعلاً وبهذا يقع التحريف.

نتبع بنية الزمان في الشعر الجزائري المعاصر من خلال الوقوف على البنية القصصية التي تستدعي القص وتقنياته داخل الخطاب الشعري غير ديوان باقة ورد.

1.3- العنوان الفرعي الثاني: تجلي الزمن المفقود في ديوان (باقة ورد)

نتقل إلى بناء الزمن عند الشاعرة (نورة بركان) ضمن ديوانها (باقة ورد) الذي اخترنا فيه محور الأم/الوطن التي اتخذت صورة واضحة للقصيد السير ذاتي المبني على القص وآلياته، وتغدو الذات الشاعرة/القاصة تحت فعل القهر والعذاب بسبب الموت المفروض؛ فغياب الأم/الوطن جعل من الشاعرة/القاصة تعيد بناء ذاتها من جديد في واقع يسوده التنكيل والتغيب والقهر، فتستنجد بأهاتها مصيرها المحتوم وتكون الأم/الوطن مدادا لعالمها الشعري في عالم تذبح فيه من الوريد إلى الوريد وعبر قصائد متنوعة أبرزها (صورتها/صورة في الذاكرة/ تهيجني/غدر الموت/ أمي/ جنة تحت أقدام أمي/ حجر الأم) نحاول استنطاق القصيدة ببنياتها الزمانية ومساراتها الحكائية.

يستعيد المتضمن في عناوين القصائد صورة الأم/الوطن المفقود، فيغدو الزمن ماضيا متوغلا في الذاكرة التي تحاول من خلالها الشاعرة/القاصة بناء ذاتها .

تهيجني....

فأمد وأجزر في عالمي

في صمت رهيب تقتلني

ابتسامتك الورقية تفيض بحار عواطفي

فتضطرب أمواج وجودي

صورتك أمي....

صورتك تمزق أشلائي

وترمي بي بعيدا

هناك في ركن الوحدة

في ركن الألم

في ركن اليأس.... والغربة. (بركان، 2011، ص 50)

تطفو ذات الشاعرة/القاصة على القصيدة، فيبرز الزمن الحداثي الموضوعي مؤسسا لتجربة إنسانية مريرة عانت فراق الأم/الوطن، ويكون فعل الغياب المفروض دال على تتباطئ سرعة الحكيم

ويبرز زمن الخطاب الذي تتخذ منه الشاعرة/القاصة رسالة لإيجاد نفسها ضمن هذا العالم المأساوي فيغدو الفراق صعبا وتطغى على القصيدة أفعال إنسانية ترمي التغيير والانحراف عن ظل سلطة الصورة الورقية التي تستنجد بها بغية بناء علم بديل معادل للعالم الموضوعي.

أبرزت أماءه في سمائي

شمت كما يشم البرق

فظل إلى غيثك قلبي مشدودا

يتأسد.....ويتصلد (بركان، 2011، ص 52)

تتكئ الشاعرة/القاصة (نورة بركان) على تقنية الاسترجاع الزمني الذي هو ضروري بالنسبة لها لأجل الوجود فصورة الأم/الوطن منبع الحنان والعطف والأمان يمنحها السكينة بلا رجحان في عالم يسوده العذاب والقهر.

كم طال انتظاري

وكلي حرقه إليك أمي

بين حقيقة ووهم استلقت

عل الصبر إلي يهديك كما أملت

كما طال انتظاري إليك أمي..... (بركان، 2011، ص 59)

إن حب الشاعرة لأمها/وطنها وفقدان حنانها بازغ في هذه القصيدة، فتتمنى الموت بغية لقائها ويكون هذا الوجود كفة لا معنى لها مقابل لقاءها وبهذا؛ فتبني الشاعرة/القاصة ذاتها من خلال أمها/وطنها وتغدو الكتابة سلاحا والأم/الوطن مدادا لعالمها اليوم ويغدو الماضي السعيد طافحا على قصائدها يمددها القوة والعزيمة لبناء المستقبل وتستقر القصيدة بزمنيتها بين الأمس واليوم، فيكون الرجوع إلى الماضي بغية إيجاد توازن نفسي من خلال الحاضر الذي يمتلئ باليأس.

4- العنوان الرئيسي الثالث: تجليات المكان ودلالته في الشعر القصصي الجزائري

المعاصر.

يؤكد الباحث (عبد الملك مرتاض) على أهمية المكان في البنية الحديثة للأعمال السردية يقول: "إنه خشبة مسرح واسعة تعرض الشخصيات من خلالها أهواءها وهواجسها ونوازعها وعواطفها وآمالها وآلامها تحب أن أحبت عليه وتكره أن كرهت من خلاله لا تستطيع الشخصيات في تعاملها مع الأحداث فعلا أو تفاعلا أن تفلت من قبضة هذا الحيز كما أن هذا الحيز يمثل في مألوف العادة طائعا لها يمتد إذا مددته ويتسع إذا وسعته ويتجه أنى وجهته" (يقطين، 1997، ص 208)؛ فيبتعد المكان عن الحدود الجغرافية ويرتبط بالخيال الذي يكسبه مكانته.

نتبع تحليلات المكان في الشعر الجزائري المعاصر الذي نحاول من خلاله الوصول إلى أهم التقنيات التي اتكأت عليها الشاعرة الجزائرية في الاستعانة بآليات القص، وتكون القراءة محاولة لسبر أغوار النص الشعري والوقوف على جمالياته المكانية.

1.4 - العنوان الفرعي الثالث: تجلي الأمكنة بين الاتساع والضييق في ديوان (باقة ورد)

يؤثث المكان ضمن ديوان (باقة ورد) لعالم الحاضر التعيس التي تعيشه الشاعرة بعد فقدان أمها ويغدو -المكان- مرتبطا بالشخصية المحورية في قصائدها (الأم/الوطن) ويرتبط أكثر بالحدث المأساوي الذي هو مآل كل واحد؛ فالموت يعني نهاية الحياة وهو المصير الحتمي لبداية حياة أخرى نجهلها تماما وهو ما يخافه الإنسان والمجهول-هنا- بارز عبر المكان الذي يشي بالنهائي والمتسع والفضفاض تقول ضمن قصيدة صورتها:

هناك...

ويدفن الصوت الثاني

ويرمي به بعيدا في الأدغال

ورمى بها في سلة الغابرين

واستقر العذاب في مرفأي. (بركان، 2011، ص ص 46-47)

يبرز المكان ملتحما بالحدث وهو موت الأم/الوطن ويشي بالزوال والتهيه في هذه الأسطر الشعرية عبر الاختفاء الذي يتوارى خلفه الموت الأبدي من خلال (يدفن/ الأدغال/ سلة الغابرين/ مرفأي)، طيفا بعيدا يؤشر لذات تتعذب وتتمزق؛ فيرتبط الموت بالنهاية والمأساة، ويغدو الوجود/

الحياة بالنسبة للشاعرة/القاصة مجهولا مظلما وهذا ما يؤسس لفكرة الزوال عبر قصائدها اللاحقة مثل قصيدتي (صورة في الذاكرة/ تهيجني) قابعا تحت اللامحدود والمجهول بقولها:

وترمي بي بعيدا

هناك في ركن الوحدة

في ركن الألم

في ركن اليأس والغربة" (بركان، 2011، ص 50)

يصبح الواقع مؤلما مؤثلا للمكان المظلم والضيق؛ فيرافق الواقع الذي تعيشه الشاعرة/القاصة الوحدة والألم واليأس والقنوط، ويبقى تمسكها بصورة أمها وذكرها تقول: "أبزغت أمها في سمائي/ أقف في اللاعالم حائرة/ كمن يسبح في مياه لم يلونها الأزرق" (بركان، 2011، ص ص 52-56) وتقول: "في حجرها الدافئ" (بركان، 2011، ص 127).

يتحد المكان بسوداويته بالكتابة التي تتخذ منها الشاعرة/القاصة ملاذا آمنا لها من بطش الواقع وتحجره، لتبني القصائد لديها على فكرة التحدي ف"لن يكون الموت قطيعة، بل استهلاكا ونضجا خالصا من الداخل للإنسان" (المنيعي و وآخرون، 1998) فيبني فضاء الموت عند الشاعرة (نورة بركان) لرحم تعيد فيه على الدوام مساءلة العالم ويتوافق الشعري في قصائدها عبر فضاءات تأخذنا إلى العالم المعتم والضبابي عالم يكتنفه الغموض والإبهام، ليكتسب المكان في قصائدها بعدا ميتافيزيقيا لصيقا بمفهوم الموت وطبيعته.

الخلاصة:

احتلت الظاهرة الأجناسية وتمازجها داخل النص الأدبي مكانة رفيعة عبر أعمال الباحثين والدارسين للشعريات العربية الحديثة والمعاصرة، باعتبارها ظاهرة حدائية اقتفت الجديد الظاهر والعين الملموس، فغذت المدونات الإبداعية محكا للتعرف على سر تشكّلها وخفاياها البنيوية التكوينية، ومن خلال رحلة البحث في تجليات تقنيات السرد القصصي في الشعر الجزائري المعاصر وعبر ديوان "باقة ورد" للشاعرة "نورة بركان" توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- احتفت المدونة الشعرية الجزائرية المعاصرة عبر ديوان "باقة ورد" بالظاهرة القصصية باعتبارها وسيلة هامة ومظهراً من مظاهر الإبداع، تساعد الشاعرة على توظيف تقنيات القص المختلفة، فتعبر عن وعيها الدقيق في اكتناه خواص الجنس القصصي الذي تنصهر عبره المواقف الممثلة بعدد صنوفه الواقعي والتخييلي وغيرها .

2- تتمرد الذات الشاعرة/القاصي نطاقها الواسع متخذة من الإطار السردى فضاءً رحباً وتجوّب عالم التقرير والوصف، لكنها تستعين بالشعر، وتطرق أبواب التأويل الذي يغوص بعيداً في التاريخ والخيال الخلاق فاتحة ازدواجية الرؤية بين النص والقارئ، بل بين الشعر والقصة فتقتضي آلية الحضور القصصي في الشعر الجزائري المعاصر عبقرية خاصة تجمع بين الأنا الفردية والجماعية ويفسح الشاعر/القاص مجالاً يعيد من خلاله صياغة الماضي بطريقة تتجاوب والفكر المعاصر.

3- يتراءى النص الشعري النسوي الجزائري الجديد ماثلاً لبناء رحلة زمانية ومكانية، ترمي لتوحد الذوات ومؤشراً للمعادل الموضوعي للجزائر المعاصرة في ظل الشعر القصصي.

4- تلتقط القصيدة النسوية الجزائرية المعاصرة اليومي والمعاش في حياة الإنسان الجزائري بما حملته من استدعاء أو استلهاً عبر شخصية تجمع بين الحقيقة والخيال، لتحيا عبرها النفس الشاعرة/القاصة متمردة في نطاقها الواسع على أفق سردي-شعري أرحب يطرق أبواب التأويل والتفكير الواعي والمثقف في ظل اتساع دائرة الرؤية وازدواجيتها المبدع/القارئ هادفة الوصول إلى الفكر الأسمى والخيال الخلاق.

5- تغلغل الأزمنة في القصيدة النسوية السردية الضاربة في التاريخ، فتعيد صياغة الماضي بطريقة تتجاوز والفكر المعاصر، فيغدو الزمان عبرها دائريا حلزونيا منكسرا، يتعد عن البنية الزمانية الكلاسيكية التي تتخذ من الأزمنة الفعلية بابا لها، ويبدو التناوب بين الرؤى الفكرية التراثية والمعاصرة بغية بناء الذات والواقع العربي الجزائري الأليم والمهمش.

6- يهدف تمثيل الحضور المكاني الذي إلى الانبعاث والوجود الفعلي للحادثة ساعية لبناء لوضع الاغتراب النفسي والإنساني/ الوجودي للإنسان داخل بيئته الجغرافية، فيغدو البناء المعماري للمكان مسرحا لبناء الأدب الإنساني يوحد رحلة البحث عن الذات داخل الوطن /الجزائر وخارجه/العربي.

الإحالات والمراجع:

1. بن علي لونيس. (1 جانفي، 2012). الأنوثة في الشعر -ثورة أم مهادنة-. تاريخ الاسترداد 01, 20018, samedi من اليوم الأدبي: khier.blogspot.de/january.01.2012
2. حاتم الصكر. (1999). الانماط النوعية والتشكلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة (الإصدار 1). بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية.
3. حسن المنيعي، و وآخرون. (1998). الكتابة والموت حول الكتابة "حديث الجثة" (الإصدار 1). سندي.
4. سعيد جبار. (2004). السيرى والتخيلى فى الرواية المغربية-دراسة نقدية- (الإصدار 1). الرباط، المغرب: جدور.
5. سعيد يقطين. (1997). تحليل الخطاب الروائى (الزمن/السرد/التبئير) (الإصدار 3). بيروت، لبنان: المركز الثقافى العربى.
6. عبد الرحمان احمد إسماعيل كرم الدين. (سبتمبر، 2012). السردى فى شعر الفيتورى "مقتل السلطان تاج الدين" نموذجاً. مجلة العلوم العربية (25)، ص 198.
7. عبد الملك مرتاض. (2005). فى نظرية الرواية -بحث فى تقنيات السرد-. الجزائر، الجزائر: دار الغرب.
8. فيليب هامون. (1990). سيمىولوجية الشخصيات الروائية. (سعيد بنكراد، و عبد الفتاح كليطو، المترجمون) الرباط، المغرب: دار الكلام.
9. محمد صابر عبيد. (2010). تأويل مناهة الحكى فى مظهرات الشكل السردى (الإصدار 2). إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
10. مفتاح محمد عبد الجليل. (2007). نظرية الشعر المعاصر فى المغرب العربى (الإصدار 1). القاهرة، مصر: مكتبة الآداب.
11. نازك الملائكة. (1962). قضايا الشعر المعاصر. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
12. نورة بركان. (2011). باقة ورد. 60-61. الجزائر، الجزائر: الجاحظية.